الاغتراب و الديمقراطية و سلبيات وسائل الإعلام في المجتمع الجزائري

د.كيران جازية
قسم علم الاجتماع
جامعة باجي مختار- عنابة

ملخص

يتعرض هذا المقال إلى العديد من المفاهيم، كالاغتراب بأبعاده المختلفة، والديمقراطية كنسق سياسي وتصور فلسفي وأسلوب للقيادة. كما يوضح المفهوم السياسي و الاقتصادي و الثقافي للعولمة، بالإضافة إلى معالجة إعلام العولمة كسلطة تكنولوجية، و نفوذ وسائل الاتصال في ظلها. و يخلص المقال إلى إبراز بعض سلبيات إعلام العولمة في المجتمع الجزائري.

Résume

Ce texte a pour but de clarifier la signification de plusieurs concepts, tels que : l'aliénation et ses multiples dimensions, la démocratie comme un système politique, une approche philosophique et un moyen de gestion.
Nous tentons aussi, de clarifier les démentions, politique, économique et culturelle de la mondialisation.
Egalement, nous traitons le pouvoir technologique de la mondialisation au travers de ses moyens de communication.
Et enfin, nous évoquons, l'impact de l'information dans le cadre de la mondialisation sur la société algérienne.

مقدمة:

تعتبر المفاهيم التي انتشرت في العالم، في نهاية الألفية الثانية و بداية الألفية الثالثة، كحقوق الإنسان و مشاكل الأقليات و الديمقراطية و التمييز العنصري، و غيرها بمثابة غرس الاغتراب لدى المجتمعات، لأن هذه القضايا لم تكن من مهام الدول و الحكومات في الماضي، و لكن فرضت عليها الآن فرضا، كما أن الاستجابة إلى فسح المجال أمام إعلام العولمة، هو أحد عوالم الهيمنة التي يمارسها القطب الواحد، و بعض الشركات متعددة الجنسيات على السيادة الوطنية للدول. بعبارة أخرى هي اغتراب تشعر به تلك الدول، و لكن لا تستطيع أن تفعل شيئا أمامه.

و السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان، هو هل تأخذ وسائل الاتصال في ظل الديمقراطية بعين الاعتبار خصوصيات المجتمع الجزائري المسلم فيما تبثه أم أنها تعمل بما يخدم المصلحة العالمية لإعلام العولمة كغيرها من الدول الأخرى. وإلى أي حد تسببت سلبيات إعلام العولمة في خلق الشعور بالاغتراب لدى الفرد الجزائري؟ و كيف التصدي لها ؟ ذلك هو ما أحاول الإجابة عليه من خلال تقسيم مداخلتي هذه إلى مايلي :

1 -مفهوم الاغتراب.
2 -مفهوم الديمقراطية.
3 -مفهوم العولمة.

أ. المفهوم السياسي للعولمة.

ب. المفهوم الاقتصادي للعولمة.

ب. المفهوم الثقافي للعولمة.

4 -إعلام العولمة : سلطة تكنولوجية.

أ. وسائل الاتصال و إعلام في ظل العولمة

ب. سلبيات وسائل الإعلام(إعلام العولمة) و كيفية التصدي لها .

1. مفهوم الاغتراب:

لقد بقي الاغتراب مفهوما مركبا كليا ينظر إليه كمفهوم قائم بذاته يتم البحث عن أسسه و عوامله دون البحث في مكوناته الأصلية، و يرجع الفضل إلى "سيمان ملفين" الذي حلل الاغتراب إلى أبعاده الأولية و هي اللاقوة، اللامعنى، اللامعيار، العزلة، غربة الذات.

فاللاقوة يشعر بها الأشخاص الذين لا يقدم لهم عملهم إلا إمكانيات قليلة، بالنسبة لاتخاذ القرارات، و عدم و جود الحرية لديهم للتصرف، فيما يخص قيامهم بأعمالهم مما يجعلهم يشعرون بالعجز لتغيير أوضاعهم أو تحقيق غاياتهم[1] بينما اللامعنى يشعر بها الأشخاص عندما يقومون بأعمال مجزئة تختلط بأعمال الآخرين بشكل يفقدهم معنى عملهم، حيث لا يستطيع العمال إيجاد العلاقة بين الأعمال المنجزة من طرفهم و الأعمال الأخرى المكملة لها، فينتابهم الشعور بالملل و الروتين الأمر الذي يجعلهم يبحثون على أساليب أخرى للهروب من تلك الوضعية مثل الترويج و الترفيه[2].

أما اللامعيار فهو عجز الأفراد عن استخدامهم لوسائل شرعية لبلوغ أهدافهم، فيضطرون إلى وسائل غير شرعية لتحقيق ذلك[3].

و يشعر العمال بالعزلة عندما لا يتوفر لهم إلا فرصا قليلة لضمان مستقبلهم، فيكون لديهم عجز في الاندماج في المحيط الصناعي، مما يجعلهم يرفضون القيم المفروضة عليهم من طرفه الفئة الغالبة التي تتميز بالنفوذ السياسي الاقتصادي[4].

كما يشعر العمال بغربة الذات عندما ينظرون إلى العمل على أساس ما يتقاضون من أجر، أو المكافآت اللازمة مقابل المجهودات المبذولة في العمل [5].

يمكن القول إذن إن اللاقوة حالة يشعر الفرد فيها بأنه عاجز عن تحقيق الأهداف التي يرغب فيها، وعدم تحكمه في سيرورة العمل، و يدل بعد اللامعنى على عدم إدراك الفرد لمعنى الأفعال التي يقوم بها، و العلاقة الموجودة بينها و بين الأعمال التي ينجزها زملاؤه في العمل، أما اللامعيار ففيه يفقد الفرد القدرة على استعمال الطرق الأخلاقية لبلوغ أهدافه، و من ثم يلجأ إلى استخدام طرق غير شرعية لتحقيق غايته، أما عزلة القيم أو العزلة حالة يعزو فيها الفرد قيم دنيا للأهداف و العقائد التي يعتبر المجتمع ذات قيمة عليا، و عجز الفرد عن الاندماج في الوسط الصناعي، بينما غربة الذات حالة نفسية يشعر فيها الفرد، بأنه غريب عن نفسه، نتيجة شعوره بوجود فاصل بين نشاطاته والمكافآت التي يتقاضاها عن عمله.

2. مفهوم الديمقراطية (DEMOCRACY)

أ. يشير "**مصطلح الديمقراطية إلى طريقة في الحياة تجعل كل فرد يعتقد أن لديه فرصا متساوية للمشاركة بحرية كاملة في قيم المجتمع و تحقيقه لأهدافه العليا**"[6]أما المعنى الخاص بمصطلح الديمقراطية، فهو توفر فرصة المشاركة لدى أعضاء المجتمع في اتخاذ القرارات السياسة التي تؤثر في حياتهم الفردية و الجماعية على السواء [7].

ب. الديمقراطية نسق سياسي قائم على مبدأ ممارسة الحكم من خلال موافقة المحكومين و تقبلهم له، ذلك أن الحكومة تستمد شرعيتها من غالبية أعضاء المجتمع المحلي بأكمله ففي الديمقراطية المباشرة، كما هو الحال في أثينا القديمة، كان المواطنون أنفسهم يضعون التشريع، أي أنهم كانوا يدلون بأصواتهم مباشرة للموافقة على القوانين.

أما النظام الأكثر شيوعا و ملائمة بالنسبة للمجتمعات الكبيرة الحجم، فهو الديمقراطية النيابية التي ينتخب فيها المواطنون ممثلين لهم أو نوابا يقومون بتشريع قوانين المجتمع [8].

و من الشروط الواجب توفرها في الديمقراطية النيابية الحقيقية الانتخابات الحرة و سرية التصويت التي تقوم على حكم الأغلبية، فالديمقراطية النيابة تقوم على حكم الأغلبية، إلا أن حماية حقوق الأقلية لها أهميتها، لذلك في هذا النظام، إذ أنها تعتبر جانبا أساسيا في النظام الديمقراطي، كذلك تتمثل الديمقراطية السياسية في المساواة أمام القانون وحرية الكلمة و التعبير و النشر و الاجتماع.

و تقوم الديمقراطية في المجتمع الكبير على المنافسة الحرة، و توازن جماعات المصلحة باعتبار أن الجماعات المتعارضة تستطيع أن تصل إلى الاتفاق و التسوية في حالة و جود حد أدنى مقبول في الصراع بينها [9].

ت. الديمقراطية تصور فلسفي: بالإضافة إلى كون الديمقراطية مفهوما سياسيا، إلا أنها تعتبر أيضا تصورا فلسفيا عندما تعبر عن المساواة الطبيعية و الحقوق الإنسانية لكل فرد وحده على وجه المعمورة.

ث. و يستخدم مصطلح الديمقراطية الاقتصادية بين الذين يتطلعون إلى مزيد من المساواة الاقتصادية، بينما يستخدم مصطلح الديمقراطية الصناعية عند الذين يتطلعون إلى الوقت الذي يتمكن فيه العمال من إدارة المصانع إدارة ذاتية، في حين يستخدم مصطلح الديمقراطية الاجتماعية لمعارضة فكرة التدرج الاجتماعي الجامد، و يشار أيضا إلى أي جماعة باعتبارها ديمقراطية أو غير ديمقراطية، في ضوء مدى مشاركة الأعضاء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في عمليات اتخاذ القرارات [10]. يمكن القول أن الديمقراطية قد أخذت معاني مختلفة، حسب المجالات المتعددة للمجتمع، لكنها تتضمن بصفة عامة مشاركة الأعضاء في اتخاذ القرارات.

ج. الديمقراطية في مجال القيادة : القيادة الديمقراطية، هي صورة من صور القيادة التي يؤمن فيها القائد بان دوره الاجتماعي يقتضي منه فرض بعض الاتجاهات و المعتقدات و القيم التي توصف بأنها ديمقراطية، و بالتالي فالقائد والقادة الديمقراطيون يقدرون حق جميع أعضاء الجماعة في المشاركة في صنع القرارات، وتنهض القيادة الديمقراطية على اعتقاد مشترك في الأهمية المتعادلة لكل أعضاء الجماعة والاعتراف ببعض القيم الأساسية كالتعاون والمناقشة الجماعية والاتفاق [11].

بحكم تبيان المعاني والاستخدامات المختلفة لمصطلح الديمقراطية نقول بأنها تحمل في طياتها مزايا كثيرة للأفراد والجماعات في المجتمع، لكن عندما تفرض الديمقراطية من طرف دول قوية على المجتمعات الأخرى وتحجج حماية الأقليات وحقوق الإنسان، فإن ذلك يعتبر خرقا صارخا للسيادة الوطنية، ضد مبادئ الديمقراطية في حد ذاتها. لأن ذلك هو نوع من غرس الاغتراب لدى أفراد المجتمعات، يتمثل في هيمنة للشركات المتعددة الجنسيات والتي تقودها أمريكا

وبعض الدول المتقدمة الأخرى، تحت ظل ما يسمى بالعولمة، التي تعتمد هي الأخرى على الإعلام الذي يتضمن آلية التأثير في المستهلك عن طريق أحداث الإقناع بوسائل تتداخل فيها العاطفة بالعقل والخوف بالرغبة والحاجة بالرضا.

وتعتبر ثورة الاتصالات اليوم شيئا أساسيا في عصر العولمة التي قال عنها علماء التاريخ أنها ليست ظاهرة جديدة، بل أن بدايتها الأولى ترجع إلى نهاية القرن السادس عشر، مع بداية غزو الاستعمار الغربي لآسيا وإفريقيا والأمريكيين، ثم ارتبطت بتطور النظام التجاري الحديث في أوروبا، مما أدى إلى ظهور نظام عالمي متشابك عرف بالعالمية، ثم عرف بالعولمة. و منذ ذلك الحين بدأت ظاهرة الاغتراب لدى شعوب تلك المجتمعات تظهر بحدة أكثر ولا تزال حدتها في تفاقم مستمر.

3. مفهوم العولمة :

هي عبارة عن لفظ جديد لظاهرة قديمة، نشأت في دنيا أصبحت في حجم قرية الكترونية صغيرة ترابطت بالأقمار الصناعية و الاتصالات الفضائية وقنوات التلفزيون للدول[12] .

ولقد تطور واتسع مفهوم العولمة من خلال تسارع تكنولوجيا الاتصال، وبالتالي أصبحت العولمة الآن السمة المميزة للتاريخ المعاصر. وهذا لا يعني أن العولمة مصطلح مرادف للأمركة ....

على أن الرئيس الأمريكي " **روزفلت** " الذي قال في نهاية الحرب العالمية الثانية : "**الآن يجب أمركة العالم**"، لكن العولمة تحققت عن طريق مجموعة من العوامل والتطورات السياسية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية التي أفرزتها عبر العقود الماضية قوى التطور والتغيير التي تنتمي إلى تراث البشرية بأكملها، وغدت كما لو كانت تيارا متدفقا يسري في أوصال هذا العالم[13] .

و إذا حاولنا البحث في مفهوم العولمة نجد أن "مفهومها –كما تدل الصياغة اللغوية– ذا مضمون ديناميكي، يشير إلى عملية مستمرة في التحول والتغير فعندما نقول عولمة النظام الاقتصادي أو عولمة النظام السياسي أو عولمة النظام الثقافي، إن ذلك يعني تحول كل منها من الإطار القومي ليندمج و يتكامل مع النظم الأخرى في إطار عالمي[14].

و العولمة كمفهوم متطور لا يمكن التحقق من الوقت الذي سيبلغ فيه منتهاه ليصبح نمطا إستاتيكيا مستقرا، و لذلك ينظر إليها في مفهومها العام أيضا على أنها"**اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرة اجتماعية و سياسية و اقتصادية وثقافية واحدة تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول**"[15] .

يبدو أن العولمة لا تعترف بحدود الدول و لا بسيادتها و انتمائها إلى وطن محدد أو دولة معينة أو ثقافة معينة، وبالتالي فهي عبارة عن تداخل لأمور الاقتصاد و الاجتماع و السياسة و الثقافة.

و لقد ذهب مصطفى محمود في ذلك الصدد في تحديده لمفهوم العولمة على أنها مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ المواطن من وطنيته و قوميته و انتمائه الديني والاجتماعي والسياسي، بحيث لا يبقى منه إلا خادم للقوى الكبرى[16].

و هذا يعني أن العولمة تسعى إلى تجريد المجتمعات من هويتها و ثوابتها الدينية والثقافية و الوطنية و القومية، لتذوب في القالب العالمي الذي رسمته العولمة، و هذا في حد ذاته يشعر أفراد تلك المجتمعات باغتراب شديد، تبدو فيه كل أبعاده كاللاقوة و اللامعنى والعزلة و اللامعيار و غربة الذات السالفة الذكر.

أ. المفهوم السياسي للعولمة :

و يعنى أن الدولة لا تكون هي الفاعل الوحيد على المسرح السياسي العالمي، و لكن توجد إلى جانبها هيئات متعددة الجنسيات و منظمات عالمية و جماعات دولية و غيرها من التنظيمات الفاعلة التي تسعى إلى تحقيق مزيد من الترابط

والتداخل و التعاون و الاندماج الدولي، بحيث تكف الدول عن مراعاة مبدأ السيادة الذي يأخذ في التقلص...تحت تأثير حاجة الدول إلى التعاون فيما بينها، في جميع المجالات مما يعني أن السيادة لا تكون لها الأهمية نفسها من الناحية الفعلية.

يتبين هنا أن الدولة قد تكون ذات سيادة من الناحية القانونية، قد تضطر من الناحية العملية إلى التفاوض مع جميع الفعاليات الدولية، مما يجعل حريتها في التصرف ناقصة و مقيدة، فتبدو فيها اللاقوة معيشة من طرف تلك المجتمعات بحدة تدل على واقع الاغتراب فيها .

فهي لم تعد تستطيع أن تنشر سيادتها على فضائها الجوي أو التحكم فيه، فالمراقبة أصبحت مستحيلة عمليا و لم يعد للدول، في هذا المجال، سوى خيار واحد هو تسهيل و سريان الإعلام لفائدة الشباكات التي يقوم مديرها بوضع أسس التحكم في الصور و المعلومات، و في عملية تداولها و الإشراف على معالجتها و تخزينها و تنقيحها [17].

فإذا حاولنا إسقاط هذه المعلومات على واقعنا الجزائري، نجد أنها فعلا مطبقة، فشبكات دجيزي ونجمة و موبيليس تملأ أسطح المنازل و المقعرات الهوائية و الرقمي لا يخلو بيت منها، بالإضافة إلى ما تبثه هذه الأخيرة من ثقافات غريبة تشجع على تفسخ أبنائها من ثقافتهم الأصلية فتزيد في اغترابهم الثقافي .

ب. المفهوم الاقتصاد للعولمة :

يشير المنظور الاقتصادي للعولمة إلى تحول العالم إلى منظومة من العلاقات الاقتصادية المتشابكة التي تزداد تعقيدا حتى تحقق هدفها الأسمى، ألا و هو سيادة نظام اقتصادي واحد يكون فيه التبادل بين مجتمعات العالم و اعتماد بعضها على بعض في كل من الخدمات و السلع و المنتجات و الأسواق و رؤوس الأموال و العمالة و الخبرة، وبالتالي لا تبقى هناك قيمة لرؤوس أموال دون استثمارات و لا قيمة للسلع دون أسواق تستهلكها [18]. بعبارة **أخرى** إن المفهوم الاقتصادي للعولمة يدل على إرغام المجتمعات الأخرى غير المنتجة لوسائل الإنتاج على أن تكون أسواقا جاهزة لاستقبال ما تنتجه الدول المتقدمة من انجازات علمية تكنولوجية تواكب العصر، خاصة في مجال المعلوماتية تحت غطاء ما يسمى بالتعاون، فهي هنا تكرس التبعية الاقتصادية الدالة على اللاقوة كأحد أبعاد الاغتراب الاقتصادي.

ت. المفهوم الثقافي للاغتراب:

لقد ارتبط المفهوم الثقافي للعولمة بفكرة التنميط(Uniformatisation) **أو التوحيد** (Unification) الثقافي للعالم، كما جاء في استخدامات لجنة اليونسكو العالمية للإعداد لمؤتمر السياسات الثقافية من أجل التنمية التي عقدت اجتماعاتها في مدينة إستكهولم سنة 1998 برئاسة خافيير ديكويلار الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة.

فقد ذهبت اللجنة إلى أن التنميط الثقافي أو التوحيد الثقافي للعالم يتم باستغلال ثورة و شبكة الاتصالات العالمية وهيكلها الاقتصادي الإنتاجي المتمثل في شيكات نقل المعلومات و السلع و تحريك رؤوس الأموال[19]، بعبارة أخرى أن التنميط أو التوحيد الثقافي هو مرآة التطور الاقتصادي للعولمة، و من المنطقي أن يتكامل البناء الثقافي للإنسانية مع البناء الاقتصادي المعلوماتي، الأمر الذي يعطي للمفهوم الثقافي للعولمة بعدا اقتصاديا و إعلاميا.

نستنتج مما سبق أن المفهوم الثقافي للعولمة يدل على أن هذه الأخير تعمل على تحقيق هيمنة ثقافية عالمية واحدة على الثقافات القومية و المحلية المتعددة، مما يؤثر سلبا على خصوصياتها فتذوب في ثقافة العولمة و بالتالي يجب التصدي لها عن طريق التمسك بقيم الدين الإسلامي الحنيف، إحياء الذاكرة التاريخية، التمسك بالمنهج العلمي في التفكير، إحياء التراث الثقافي.

4. إعلام العولمة و سلبياته:

أ. إعلام العولمة سلطة تكنولوجية: ذات منظومات معقدة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، و إنما تطرح حدودا افتراضية مرئية، ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسية و اقتصادية و ثقافية و فكرية، لتقييم عالما من دون دولة ومن دون أمة و من دون وطن. إنه عالم المؤسسات و الشبكات التي تتمركز و تعمل تحت إمارة منظمات ذات طبيعة خاصة، و شركات متعددة الجنسيات يتسم مضمونه بالعالمية و التوحد، على الرغم من تنوع رسائله التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمان و المكان و اللغة، لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب و العقائد و الرغبات و الأهواء.

فإعلام العولمة يشكل جزءا من البنية الإتصالية الدولية، التي مكنته من تحقيق عولمة رسائله و وسائله، فهو ينتمي إلى أحد حقلي التكنولوجيا الأكثر تطورا في الوقت الراهن، و المحتكر بشكل مباشر من الشركات المعنية بتصنيع وسائله، و التي تشكل نسبة (23%) من قائمة الشركات المائة(100) الأكبر في العالم [20].

بمعنى آخر، إن إعلام العولمة يستند إلى اتفاقيات دولية، تدعمها منظمات و قرارات، تحدد استخدام شبكاته وتوزيع موجاته السمعية و آلياته البصرية، و بثه المباشر و تعريفاته الجمركية للصحف و المجلات و الكتب والأشرطة المذبلجة و الاسطوانات و وسائله المتعددة .

يمكن القول إذن، إن إعلام العولمة هو إعلام عابر للقارات، بلا وطن، فالفضاء اللا محدود مثلما هو الوطن الجديد للعولمة و هو أيضا وطن لإعلامها، أنه الوطن الذي تبنيه شبكات الاتصال الالكترونية، و تنسجه الآليات البصرية، وتنقله الموجات الكهرومغناطيسية.

ب. نفوذ وسائل الاتصال في ظل العولمة[21]:

إن سلطة الإعلام عن طريق وسائل الاتصال في عصرنا الحالي عمت العالم بأسره، فهناك ما يزيد عن خمسمائة (500) قمر صناعي تدور حول الأرض مرسلة إشارات لاسلكية، تدعو إلى العولمة. فعن طريق الصور المتحركة على شاشات أكثر من مليار من أجهزة التلفزيون، تتشابه الصور و تتوحد الأحلام، و تدغدغ الأماني و تتحرك الأفعال. وبالتالي أصبح لوسائل إعلام العولمة نفوذ كبير، إذ لم يعد هناك بشك في فعاليتها و هيمنتها و السرعة التي تنقل بها رسائلها، و دورها في تثبيت الاغتراب.

و إذا حاولنا التطرق إلى سلبيات وسائل الإعلام نجد أنها:

أولا: تمكنت من إجبار الدول و حكوماتها على الاهتمام و بقضايا حقوق الإنسان، و مشاكل الأقليات و التميز العنصري، رغم أنها لم تهتم بها و لم تعرها عناية كافية في الماضي القريب.

ثانيا: تمكنت وسائل إعلام العولمة من تخطي كل الحدود، فعملت على تحويل المجتمعات و البيئات الداخلية للدول، إلى مجتمعات و بيئات عالمية، الأمر الذي أثر سلبا على السياسات الداخلية و صانعيها، فلم تعد قراراتهم و مواقفهم وتصريحاتهم خافية على عيون الإعلام و أصحابه.

ثالثا: تمكنت وسائل إعلام العولمة، من كفالة محيطا ثقافيا واسعا، و نظرة أشمل إلى العالم و عمقا في الاتصال الإنساني، فجلبت بذلك الملايين، بحيث كان الاندفاع نحو تلك الوسائل و خاصة التلفزيون أمرا شكل حافزا للشعوب، لكي تضغط على دولها من أجل التغيير في الداخل.

رابعا: تمكنت وسائل الإعلام، أن تدفع الإنسان خطوات واسعة في طريق السلوك الاستهلاكي، عبر وسائل الإعلان الدولي، و ذلك في مجال تسويق السلع و الخدمات، الأمر الذي خلق طلبا واسعا على السلع و حتى في البلاد، التي لا تسمح مستويات الدخل فيها بتبني أنماط الثقافة الاستهلالية.

خامسا:تمكنت وسائل الإعلام، في ظل العولمة، أن توفر لوكالات الإعلان الدولية المناخ الملائم، لنشر قيم المجتمع الاستهلاكي، التي تعرض ثقافة جديدة على شعوب، تحاول أن تحتفظ بذاتيتها و خصوصيتها الثقافية.

سادسا: تمكنت وسائل الإعلام بقدرتها التكنولوجية الهائلة أن تضعف من نظام الإعلام الوطني، و تزيد من تبعيتها لها لتنقل منها ما تتكرم به عليها من صور و معلومات و إعلانات.

سابعا: تمكنت وسائل إعلام العولمة، أن تعيد شكل العالم في صورة محسوسة، بعد أن سيطرت على الزمان والمكان، واستطاع المشاهد أن يجد نفسه في أي نقطة في العالم في لحظة...، ليكتشف الإنسان أنه في عالم كبير، يمكن أن تختصر فيه المسافات والفوارق الزمنية ليصير كرة معلوماتية، بعد أن كان قرية الكترونية صغيرة في مرحلة سابقة[22].

بعبارة أخرى، إن وسائل الإعلام في عصرنا الحالي، عبارة عن سلاح موجه نحو توحيد ثقافات الشعوب، و من ثم سهولة الهيمنة عليها، فالمتمعن في ما يسمى بحقوق الإنسان، و مشاكل الأقليات و التمييز العنصري، يجد أن هذه القضايا لم تكن من مهام الدول و الحكومات في الماضي القريب، فهي الآن فرضت عليها.

كما أن إزالة كل الحدود أمام وسائل إعلام العولمة المفروض على المجتمعات، فقد جعل هذه الأخيرة تفقد ما يسمى بأسرار الداخلية للدول، لان قرارات حكامها و مواقفهم أصبحت مفضوحة أمام العالم بأكمله، بالإضافة إلى كون إعلام العولمة عمل على نشر قيم المجتمع الاستهلاكي، و عرض ثقافة جديدة على الشعوب تعمل هذه الأخيرة على الاحتفاظ بذاتها و ثقافاتها المتميزة خوفا من الذوبان في الآخر، و من ثم فقدان الهوية الوطنية، و هكذا نصل إلى القول أن وسائل إعلام العولمة جعلت من نظم الإعلام الوطنية تابعة لها، و ذلك لما تستقيه هذه الأخيرة من معلومات و صور وإعلانات منها، رغم عدم مناسبتها مع ما هو متفق عليه اجتماعيا، كما أنها كسبت جمهورا أو مستهلكا متفرجا عريضا.

ث.سلبيات وسائل الإعلام في عصرنا الحالي:

إن وسائل الإعلام تبث رسالة إعلامية تستهدف خلق ثقافة جديدة في الشعوب تعمل على تشكيل اتجاهاتها وموافقتها[23]، و ما دام دعاة العولمة ينتظرون إلى كون الثقافة هي السبب الرئيسي للانقسام بين الشعوب، فالحل حسب رأيهم، هو اندماج الثقافات في ثقافة واحدة، و بالتالي يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الترحيب أو النفور من العولمة يتوقف على مدى إزالة التوترات بين القيم الثقافية المحلية التي تنادي بها العولمة [24]، و لذلك فإن ثمة جهودا تبذل للاستفادة من تقنيات الاتصال و وسائله لتوحيد العالم أو إعطائه صورة واحدة أو على الأقل محاولة التخفيف من حدة التوترات الثقافية بين الشعوب...، من أجل الوصول إلى بيئة ثقافية..، يتشكل منها الوعي العام للأمم والشعوب فتلك البيئة أصبحت منتجا يتم تصنيعه في معامل"**اديسون افنيو**"واستوديوهات"**هوليود**"و"**لاس فيغاس**" بالكلمة والصورة[25].

وهكذا فإن غايات إعلام العولمة ليست ذات طبيعة سياسية و اقتصادية، كما يبدو وإنما غاياتها الجوهرية هي نشر ثقافة جديدة، تسهل عملية قبول الأفكار السياسية و الاقتصادية للعولمة من قبل الشعوب من ثم تحقيق غاياتها و هي:

أولا: تحرير إرادة الشعوب من القيود الاجتماعية السياسية و الثقافية والفكرية التي يعتقد منظرو العولمة أنها تعيق تقبلها للثقافة الجديدة، عن طريق الاستخدام الموجه للكلمات و الصور.

ويرى في ذلك"**هربرت شيللر**" (H.Schiller) أن السيطرة على البشر وعلى المجتمعات تتطلب في الوقت الحاضر....الاستخدام الموجه للإعلام، فمهما كان جبروت القوة التي يمكن استخدامها ضد شعب ما، فإنها لا تفيد على المدى البعيد إلا إذا تمكن المجتمع المسيطر من أن يجعل أهدافه تبدو مقبولة على الأقل، إن لم تكن جذابة بالنسبة لهؤلاء الذين يسعى لإخضاعهم، فالحالة الشعورية لسكان بلد ما لها دورها الملموس في تحديد سلوكهم الاجتماعي و نهجهم الثقافي[26].

ثانيا: ترويض العقول على مشاهدة ...الأنماط المغرية للثقافة الجديدة بإحكام السيطرة على المعلومات و توظيفها وتعميمها وفقا لمواصفات محددة و بمقومات تم اختيارها عمليا لتتعود الشعوب عليها و على مشاهدتها عن طريق التكرار....بالرغم من أن هذا التعود يمكن، في ظل ظروف معينة، أن يلحق ضررا بالصحة العقلية للإنسان فيصبح أسيرا لعاداته [27].

ثالثا: إعادة تشكيل الحياة الاجتماعية للشعوب على نمط الحياة الغربية و حثها على المشاركة فيها على نحو نشط يحقق قولبة الإنسان، بحسب النموذج الاجتماعي الغربي، بزوغ مفاهيم الاختيار الشخصي و النزعة الفردية و تغييب الصراع الاجتماعي، و التركيز على أسطورة التعددية الإعلامية [28].

رابعا: تعزيز فكرة الانخراط النشط في الثقافة الجديدة و ذلك من خلال تبيان مظهرها الخارجي و الثناء على كل من تبناها و يعمل بموجبها، بما يشجع الانتماء إليها على أنها أسلوب الحياة العصرية المهتمة بآخر تعليقات العصر والأشكال الجديدة للمأكولات والملبوسات...و الترفيه والإنفاق في إطار يتجاوب مع حاجة الرأسمالية إلى زيادة الاستهلاك من جهة و التأكيد على قيم المجتمع الرأسمالي من جهة أخرى.

خاتمة:

يمكن في الأخير أن العالم اليوم يتمتع بإمكانيات هائلة لإحداث التغيير على مستوى المعمورة، يتعلق ذلك بكيفية إنتاج السلع و الخدمات و الحيز الجغرافي الذي ينتج فيه، (و أين يصدر؟) و طبيعة ما يتم إنتاجه و استهلاكه، و يعود جزء كبير من هذا التغيير إلى ثورة المعلومات، و ذلك لان أسس كثيرة من التغيرات تتعلق اليوم بالسرعة المتزايدة لانتشار المعلومات و القدرة على تخزينها، و بالتالي أصبح للإعلام نفوذ يمارسه على الشعوب بكل سلبياته وايجابياته، انه يشكل جزء من البنية الثقافية للمجتمعات التي تنتجه و توجهه و تتوجه به، إنه يسعى إلى نشر و شيوع ثقافة عالمية تسمى بالانفتاح الثقافي، عند مصدريها و بالغزو الثقافي عند متلقيها.

إذا حاولنا التمعن فيما تنشره وسائل الإعلام في الدعاية و التربية و الاستهلاك و الترويج نجده يؤدي إلى تخدير العقول و بعبارة أخرى إلى ترغيب الأفراد على الإقبال عليها دون حوار أو مناقشة لأنها آتية من الدول القوية والمتقدمة التي تزعم بأنها تقود العالم نحو الازدهار و الرقي.

إن الثقافة الاستهلاكية التي يريد نشرها في المجتمعات "**يخلق نوع جديد**" من الاغتراب وهو الاغتراب الماكر (Aliénation insidieuse) لأنه يصبح غير شعوري، وذلك بإدماج الفرد فيه إدماجا قويا يؤدي إلى فقدان الشعور بهذا الاغتراب أو بهذا الكبت، يقمع الحاجات الغريزية الطبيعية و يعمل على خلق حاجات اصطناعية بواسطة **(الزي أوالموضة)** أو كل ما تبثه ووسائل الإعلام.

فبالنسبة للحاجات الطبيعية هي حب الحرية و الحفاظ على الهوية وعلى الكرامة، أما الحاجات الاصطناعية فهي الحاجات المادية المتجددة، و التي تبث على الشاشة بصورة مختلفة غير مملة، تجعل أغلب أفراد المجتمع يتطلعون إلى الحصول عليها و لكنهم لا يستطيعون، الأمر الذي يجعلهم يشعرون بالإحباط و الحرمان، و بالتالي يلجا الكثير من هؤلاء إلى الانحراف من خلال السرقة لإشباع تلك الحاجات الاصطناعية، هذا بالإضافة إلى أن الشباب أصبح فعلا مقتنعا بالثقافة الأمريكية و ثقافة الدول المتقدمة، و ينفر من الثقافة الأصلية، إنما يوحي به إعلام العولمة هو توحيد الثقافات و تجريد المجتمعات من الثقافة الوطنية التي تميزها عن غيرها و تجعلها تشعر بالكرامة و السيادة الوطنية.

إن وسائل الاتصال، حسب إعتقادي، تنشر الغزو الثقافي، بما تحمله هذه العبارة من مساوئ. إن الأفلام و غيرها تعمل على إفساد عقول الشباب، و تعمل على تشجيع الانحرافات و تغرس العنف في النفوس.

إن تأثر مجتمعنا الجزائري بإعلام العولمة و تساهله في بعض المسائل التي تجعل المجتمعات تحافظ على هويتها، جعله لا يحرك ساكنا أمام توظيف صورة المرأة لكسب الربح السريع، رغم التأكد من أن الهدف من وراء ذلك هو ضرب عرض المرأة التي منحها الإسلام مكانة خاصة، فالمرأة أصبحت وسيلة و ليست غاية في حد ذاتها، فهي تعرض جمالها من خلال عملية الرقص و الغناء و كشف السرة، فهنا نجد المجتمع الجزائري مهدد بانحراف الخلية الأولى فيه و هي الأسرة، التي بدأت تتقبل مثل هذه الثقافة، بل أصبحت تشجع ما يسمى بمسابقات ملكات الجمال الجزائري في الفنادق الفخمة و إلصاق صورة المرأة في اللافتات على الجدران في الشوارع.

إن ذلك يحط من قيمة المرأة بصفة عامة. لقد نجحت العولمة و إعلامها فعلا في نشر ثقافة الإشهار في المجتمع الجزائري، و هو في الحقيقة عبارة عن تلاعب بعقول الناس و اتجاهاتهم. حيث قتلت عندهم ملكة الخلق و الإبداع وتركت لهم فقط حرية الاختيار بين هذه السلعة أو تلك.

وأمام ما ذكرته سابقا من سلبيات وسائل الاتصال، يجعلنا نفكر في البديل، أي كيف يمكن التصدي لتلك التحديات؟ فللإجابة على ذلك السؤال، نقول يكون التصدي لتلك التحديات عن طريق الرقابة التي يمارسها المواطنون على وسائل الإعلام و المطالبة بإزالة ومضة إشهارية تسئ لعرض المرأة بحيائها، كما أن برامج الأطفال التي تغرس فيهم العنف منذ الصغر، يجب المطالبة بعدم بثها على الشاشة الصغيرة، بالإضافة إلى الإكثار من المؤتمرات و الملتقيات التحسيسية بخطورة ما يبثه إعلام العولمة. و من ثم العمل على إحياء التراث الجزائري الأصيل، و المهن الحرفية وتشجيع الخلق والإبداع لدى العلماء و تحفيزهم بالنهوض بالبحث العلمي و استغلال نتائجه في الواقع، الأمر الذي يجعلنا غير تابعين دائما أو مستهلكين فقط. و بالتالي على المثقفين و الساسة و جميع الفاعلين المدنيين في هذه المجتمعات، مقاومة تيارات العولمة الجارفة، و العمل على إنقاذ الدولة و مؤسساتها و تأهيلها للقيام بوظائفها الأساسية.

و على الدول العربية خاصة أن تعيد ماضيها المشرف، عندما استرجعت سيادتها و استقلالها من الاستعمار، وبالتالي فهي مطالبة اليوم – رغم ثقل الضغوط التي تفرضها العولمة و حجم القيود التي تعيق قدراتها – أن تكون لديها إرادة قوية و قدرة على التعامل مع تلك الآثار و بالتحديد تحاول صياغة مشروع وطني جماعي، يتقاطع مع العولمة ولكنه لا يندمج فيها و بالتالي فان أي اقتراحات في هذا الصدد لن تكون واقعية إلا بإصرار و تماسك الدول و حفاظها على هويتها.

ومادامت الدول القوية بزعامة أمريكا تفرض "**الديمقراطية**" على المجتمعات، فيجب أن تتفهم خصوصيات تلك المجتمعات. و من ثم تتقبل أمريكا حق تلك الدول في الحفاظ على هويتها و مميزاتها، و إلا لكانت الديمقراطية عبارة عن

نظام زائف يطبق منه ما يصلح بنظام العولمة التي فرضته على الآخرين، و لا يطبق ما يصلح على الذين تلقوه من الخارج.

فمن خلال ما تناولته في هذه المقالة أستطيع أن أجيب على التساؤل الذي انطلقت منه، و هو هل تأخذ وسائل الاتصال **(إعلام العولمة خاصة)** بعين الاعتبار خصوصيات المجتمع الجزائري المسلم فيما تبثه؟ أم أنها تعمل بما يخدم المصلحة العالمية بإعلام العولمة؟ إن الجواب على ذلك هو سلبي و يستطيع القارئ فهمه من خلال مطالعة المعلومات السابقة. و بالتالي و حتى أجيب على الشق الثاني من التساؤل السابق، أقول بأنه في عهد التكتلات الذي يشهده العالم في العصر الحالي، على الأمة العربية أن تتكتل و أن تتوحد في وعاء القومية العربية، و بالتالي فان لغة القرآن الكريم هي اللغة المشتركة بين جميع شعوب الأمة العربية و المعول عليها لتحقيق تلك الوحدة ، فهي لغة التراث المشترك و لغة العلم و الثقافة، و بالتالي فهي لغة التحديث و الحداثة التي توحد بين مستويات الهوية في الوطن العربي و هي تشمل المستوى الفردي و الجماعي و المستوى الوطني و القومي، فهي الأداة الوحيدة التي يمكن بها للعرب الدخول في العالمية و تحقيق الحداثة، و من ثم التصدي إلى تحديات العولمة، و الرجوع إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، من أجل جمع المعلومات القيمة و استثمارها في مشاريع للنهوض بالأمة العربية و تنميتها.

المراجع:

1- Melvin Seeman : les conséquences de l'aliénation dans le travail : revue de Sociologie de travail N°2, 1967, PP114, 1115.

2-Ibid, P115 .

3- Ibid, P115.

4- Ibid, P115.

5- Ibid, P115.

6- نخبة من أساتذة قسم علم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص 133.

7- نفس المرجع ، ص 123.

8- نفس المرجع، ص 123.

9- نفس المرجع، ص 124.

10- نفس المرجع، ص 124.

11- نفس المرجع، ص 124.

12- الفريد فرج: العولمة في مرآة الثقافة العربية، جريدة الأهرام، 1999/10/15، ص12

13- كمال عبد الغاني المرسي: العلمانية و العولمة و الأزهر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 90.

14- إسماعيل صبري عبد الله و آخرون: العولمة هيمنة منفردة في المجالات الاقتصادية و السياسية و العسكرية، تقديم محمد نوار، دار جهاد للطباعة و النشر و التوزيع، 1999، ص 43.

15- كمال عبد الغاني المرسي: المرجع السابق، ص 93.

16- مصطفى محمود: "العولمة"، مجلة الإسلام و الوطن، العدد 138، يونيو 1998، ص

17- محمد عابد جابري: قضايا في الفكر المحاصر و العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق و التسامح – الديمقراطية و نظام القيم الفلسفية و المدنية" (مركز دراسات الوحدة العربية)، بيروت، 1997، ص 151.

18- مصطفى محمود، مجلة الإسلام و الوطن، العدد 138، يونيو، 1989.

19- كمال عبد الغاني المرسي: المرجع السابق، ص 92.

20- هاربرت أ.شيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، ط 2، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، 1999، ص7.

21- السيد احمد مصطفى عمر، "إعلام العولمة و تأثيره في المستهلك"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، جوان 2000، العدد 256، ص 78.

22- نفس المرجع، ص 78.

23- هاني حامد المضمور، التسويق الدولي، الجامعة الأردنية، عمان، 1994، ص 276.

24- روتكوف دافيد: في مديح الامبريالية الثقافية، ترجمة احمد خصر، الثقافة العالمية ، الكويت، ديسمبر 1979، ص26

25- هاربرت شيللر، المتلاعبون بالعقول، مرجع سبق ذكره، ص 11.

26- نفس المرجع، ص 216.

27- نفس المرجع، ص 13.

28- نفس المرجع، ص 17 و ص 38.